الإستشراق مظاهر ومحاور

د/ يوسف حمد محمد علي الاطرش

أستاذ مساعد تخصص دعوة ومقارنة أديان كلية الدعوة الإسلامية

جامعة أم درمان الإسلامية

من ١٣٦٥ إلى ١٤٠٠

ملخص بحث

الإستشراق مظاهر ومحاور

إن دور الاستشراق رغم صعوبة اكتشافه الا انه ظهر بوضوح في بعض الدول الإسلامية، وذلك بتشكيك المسلمين في دينهم عن طريق بعض الوسائل والتي من بينها وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة التي لها اكبر الاثر في تغير المجتمعات وخصوصا الشبابية منها ، فاستغل المستشرقون هذه الوسائل وبثوا سمومهم فيها فاختلف المسلمون في القطر الواحد فيما بينهم الي جماعات ، ومازال المستشرقون يبثون افكارهم وسمومهم في تلك الدول .

من خلال هذا البحث نوجز بعض النتائج من خلال هذه الدراسة و هي : –

١ – ان الاستشراق لم يكف اذاه يوما عن المسلمين منذ الحروب الصليبية الي يومنا هذا .

٢ – كما ان المستشرقين درسوا بعناية طبيعة الدول الاسلامية قوة وضعفا ، خصوصا النسيج الاجتماعي القائم علي القبلية والتعصب .

٣ – وجد الاستشراق ارض خصبة في بعض الدول الإسلامية فأنزل معاول الهدم فيها وانجز مهامه بامتياز .

Search summary

Orientalism manifestations and axes

Despite the difficulty of detection Orientalism that it emerged clearly in some Islamic countries, Muslim questioning their religion by some means including modern social media that have the greatest impact in changing communities and especially their youth, using these means to happiness and ran Their poison, Muslims differed in diameter is the one between them to groups, happiness still airing their thoughts and their venom in those States.

Through this research we summarize some results from this study are:-

1 – that Orientalism was not enough hurt him one day about Muslims since the Crusades to the present day.

2 – orientalist also studied carefully the nature of Islamic States strength and weakness, especially tribal-based social fabric and intolerance.

3. He found Orientalism fertile ground in some Islamic countries, where demolition shovels down and performed his duties with distinction.

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد بن عبدالله وعلي اله وصحبه والتابعين له بإحسان الي يوم يبعثون .

سبب اختيار الموضوع

الاطلاع الباحث علي الاستشراق والمستشرقين الذي يدرسون احوال البلاد وعاداتها وتقاليدها واماكن قوتها وضعفها للتأثير عليها ووأدها ، ، ادي الي طرح عدة اسئلة دارت في مخيلة الباحث تؤدي الي اتهام الاستشراق بالتدخل في شئون تلك الدول ،.

اهمية البحث

تتمثل اهمية هذا البحث في انه يربط الجانب الخفي للإستشراق ومظاهره الفكرية

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي في وصفه للاستشراق

هيكلة البحث

الفصل الاول : تعريف الاستشراق ونشأته واهدافه

المبحث الاول : تعريف الاستشراق ومفهومه

المبحث الثاني : نشأة الاستشراق وتطوره

المبحث الثالث : اهداف الاستشراق

الفصل الثاني : دوافع الاستشراق ومحاوره ووسائله

المبحث الاول : دوافع الاستشراق

المبحث الثاني : محاور الاستشراق

المبحث الثالث : وسائل الاستشراق

الفصل الاول : تعريف الاستشراق ونشأته وأهدافه

المبحث الاول : تعريف الاستشراق

الاستشراق فعلة (شرق) وفي معاجم اللغة شرقت الشمس (طلعت) وبابه نصر ودخل ، وشرق أخذ في ناحية المشرق ، والشرق ، الشمس وجهة شروق الشمس ، وشجرة مشرقة تطلع عليها الشمس من شروقها الي نصف النهار .

ومصطلح الاستشراق وما يتصل به نحو مستشرق يعد من التسميات الحديثة ، وان كان مدلولها غير حديث [١].

ويقول احمد حسين الزيات : يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربين لتاريخ الشرق وامه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته واساطيره [٢]،

ويذهب المستشرق الالماني بارت الي القول بأن الاستشراق (علم يختص بفقه اللغة خاصة ، وبما ان الكلمة مشتقة من كلمة شرق التي تعني مشرق الشمس ، فانه يرى ان الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي)[٣] .

وكما جاء في تعريف الاستشراق في الموسوعة الميسرة : (بانه هو ذلك التيار الفكر الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي والتي شملت حضارته واديانه وادابه ولغاته وثقافته) ولقد اسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الاسلامي معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما [٤].

---

[١] اسماعيل علي محمد ،الاستشراق بين الحقيقة والتضليل (مدخل علمي لدراسة الاستشراق ط٣ ،١٤٢١ه – ٢٠٠٠م ص٨

[٢] نفس المرجع ص١٠

[٣] اسحق موسي الحسين ، الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه ، ج١ ، ص١٥

[٤] الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الرياض ط الثانية ، ١٤٠٩ه ١٩٨٩م ،ص٣٣

كما يبين لنا ادوارد سعيد أن هناك ثلاث دلالات للاستشراق [٥]: –

الاولي _ جامعية فكرية اكاديمية ، فكل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه فهو مستشرق ، وعمله هو استشراق سواء كان المرء مختصا بعلم الانسان ام بعلم الاجتماع ام مؤرخا ام فقيه لغة .

الثانية – أكثر عمومية من الاولي من حيث هي اسلوب في الفكر القائم علي تميز وجودي (انتولوجي) ومعرفي (ايستملوجي) بين الشرق والغرب .

الثالثة – هو ان الاستشراق اسلوب غربي يهدف الي السيطرة علي الشرق وبسط السيادة عليه .

ويرى ادوارد سعيد : أن الاستشراق كان نتاجا لقوي نشاطات سياسية معينة ، فهو مذهب سياسي مارسه الغرب القوي علي الشرق الضعيف.[١]

ويعرف الالماني رودي بارت : الاستشراق بقوله : (كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق ، وكلمة شرق يعني مشرق الشمس ، وعلي هذا يكون الاستشراق وهو علم الشرق أو علم العالم الشرقي) [٢].

ويرى أخرون أن الاستشراق خطاب أو انشاء ولكنه خطاب لا يعكس حقائق أو وقائع بل يصور تمثيلات أو الوانا من التمثيل ، حيث تختفي القوة و المؤسسة والمصلحة ، انه خلق جديد اخر أو اعادة انتاج له صعيد التصور والتمثيل ، مما

---

[٥] ادوارد سعيد ، الاستشراق – المعرفة – السلطة الانتشار ، تعريب كمال ابو دبيب ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ،١٩٨١م ص٣٧

[١] رودي بارت ، الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية ، ترجمة مصطفي ماهر ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م ص١١

[٢] سالم نعوت ، حفريات الاستشراق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ،١٩٨٩م ص٨

يجعل من الاستشراق موضوع معرفة ، بينما يظل موضوعه الذي هو (الشرق) موضوع واقع لا تربطه به صلة تطابق أو انعكاس [٣].

وتذهب اغاري شميل الي أن الاستشراق علم له اصوله وقواعده ومناهجه ، لكن العلم ينشد دوما معرفة الحقيقة المجردة حتي وان كانت لا تلائم عواطفنا واهوائنا وانفعالاتنا ، وفي سعينا الدؤوب الي معرفة الحقيقة، فاننا نستخدم وسائل المعرفة المتاحة لنا كالعقل والحواس لنرصد الظاهرة التي ندرسها ثم نشاهد تطورها بعد الملاحظة المستمرة عليها وصولا الي قانون علمي يفسر هذه الظاهرة ونحن اذ نفعل ذلك فإننا نخضع انفسنا لنظام صارم دقيق نتخلي فيه عن ميولنا وأهواءنا الذاتية لندرس الظاهرة كما هي لا كما نريدها نحن أن تكون ومن ثم لا يمكن اعتبار الاستشراق علما من العلوم المميزة له خصائصه الذاتية كاي علم اخر لانه من الصعب اثبات ذلك نظرا لطبيعة هذه الدراسة الشمولية التي تناولت كل شي عن الشرق[٤] .

ويرى البعض أن الاستشراق وبخاصة في دراسته للاسلام _ ليس علما بأي مقياس علمي _ وانما هو عبارة عن ايديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة علي حقائق او مرتكزة علي اوهام وافتراءات [١].

والمستشرق في المعني العام يطلق علي كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله ، اقصاه ووسطه وادناه في لغاته وادابه وحضارته واديانه .

---

[٣] عمر لطفي العالم ، المستشرقون والقرآن ، مركز دراسات العالم الاسلامي ، مالطا ، ١٩٩١م ص١٤

[٤] سامي سالم الحاج ، الظاهرة الاستشراقية واثرها علي الدراسات الاسلامية ، ط١ ،ج٢ ، مركز دراسات العالم الاسلامي مالطا ، ١٩٩١م ص١٩

[١] محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المنار ، ط٢، ١٩٨٩م، ص١٤٤

وقد اقر كثير من الدارسين لظاهرة الاستشراق هذا التعريف وحددوا ملامح شخصية المستشرق فيما يلي [٢].

١ – ان يكون غربيا

٢ – ان يكون من اهل الذمة اليهود والنصارى

٣ – ان يهتم هذا الباحث بالشرق

٤ – ان يكون عالما

وهناك ملاحظات حول هذه المفاهيم اوجزها محمد جلاء الدويس في كتابه الاستشراق الاسرائيلي في المصادر العبرية حيث قال :

اولا : ليس بالضرورة ان يكون المستشرق غربيا ، فالمستشرقون الاسرائيليون مثلا يقيمون في الشرق وينتمون جغرافيا لمفهوم الشرق ، واذا كنا نعدهم في عداد المستشرقين فلا يمكن لنا ان نمنحهم جنسية لا يحملوها [٣]

ثانيا : ان حصر اعمال الاستشراق علي اهل الذمة يخرج لنا عن دائرة الاعمال الاستشراقية كما كبيرا وهاما قام به مستشرقون لا ينتمون لليهود ولا النصارى ، فهناك العلمانيون والملحدون ولعل انتاج المستشرقون الشيوعيون[٤] ممن هم ليسو باهل ذمة ولا دين دليل علي سقوط هذا الشرط الذي يراه البعض في شخصية المستشرق .

---

[٢] محمد عبدالله الشرقاوي ، الاستشراق والغارة علي الفكر الاسلامي ،دار الهداية ، القاهرة ، ص٦

[٣] محمد جلاء ادريس ، الاستشراق الاسرائيلي في المصادر العبرية ، العربي للنشر والتوزيع ، روز اليوسف ، القاهرة ، ١٤١٦ه – ١٩٩٥م ص٦

[٤] نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ج٣ ، دار المعارف ، ص٥١

ثالثا : اما ضرورة ان يهتم الباحث بالشرق فمع تسليمنا بالارتباط التام بين تسمية هذه الظاهرة بمضمونها الا اننا نجد ان مفهوم الشرق غير واضح المعالم عند بعض الباحثين الغربين ، وعلي نحو ما طرحه رودي بارت .

رابعا : ان اشتراط العلم للباحث الذي يخوض دراسة موضوع ما _ ايا كان هذا الموضوع _ امر لا مناص منه ، ولكننا نجد اعمالا عديدة تحتسب ضمن اهتمامات الاستشراق وتحسب له خاض اصحابها غمارها دون علم بها ، وليس من دليل علي ذلك اكثر من هولاء النفر من المستشرقين الذين كتبوا عن القران ولا يعرفون العربية ، وكتبوا عن اركان الاسلام ولم يطلعوا علي ابسط ما يعرف بهذه الاركان ، وكلها نماذج وجدت في كثير من كتابات المستشرقين .

وبغض النظر عن التباين القائم بين الباحثين فيما يتعلق بتعريف الاستشراق وتحديد هوية المستشرقين فان الاهتمام بهذا الامر يرتكز علي الدراسات والكتابات التي قام بها اشخاص بغض النظر عن انتمائهم الديني او العرقي او الجغرافية وتناولوا فيها العرب والمسلمين (لغة ودينا وحضارة وتاريخا) كجزء من مفهوم الشرق بوجه عام ، ثم ياتي اهتمامنا التالي لنوعية او طبقة محددة من طبقات المستشرقين تنتمي لتراث ديني محدد وهو تراث الفكر الديني اليهودي وذلك بهدف استجلاء خصائصهم كمدرسة ذات طابع خاص في مجال الدراسات الاستشراقية ، وان كان هناك من صنف المستشرقين الي طبقات حسب الزمن حيث طبقة القدماء من امثال دور بياك ، والقديس توماس الاكويني ، وطبقة المحدثين امثال كاره دوقو وجولد تسهير ، او حسب اتجاههم العام نحو الاسلام

والمسلمين وفي كتاباهم مميزين طبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين لها والمشوهين لسمعتها[١] .

ولقد عرف البعض الاستشراق بانه (ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي ، والتي شملت حضارته واديانه وآدابه ولغاته وثقافته ، ولقد اسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الاسلامي معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما [٢].

ومن الصعوبة بمكان وضع حد فاصل بين الاستشراق والتبشير والاستعمار (اذ ان الاستشراق يمثل الوليد الطبيعي للثقافة التي تنتجه ، فالمفكر الي حد بعيد رهين بالثقافة التي نشأ فيها ، وليس وليدا للموضوع المدروس او المطروح باعتباره صاحب الحق الاول في الاهتمام والدراسة ، لذلك لا يستطيع اي مستشرق أن يتناول موضوعاته دون أن يخضع للقوالب والحدود الفكرية والعلمنة المفروضة عليه مسبقا بسبب ثقافته التي يصعب عليه الانفلات منها [٣].

المبحث الثاني : نشأة الاستشراق وتطوره .

يقر اسحق موسي الحسين أن لفظة استشراق ومشتقاها مولدة ، استعملها المحدثون من ترجمة (**orientalism**) ثم استعملوا من الاسم فعلا فقالوا : استشرق ، وليس في اللغات الاجنبية فعل مرادف للفعل العربي ، والمدققون يؤثرون استعمال علماء المشرقيات بدلا من استشراق ، ويؤثرون استعمال

---

[١] مالك بن نبي ، انتاج المستشرقون واثره في الفكر الاسلامي الحديث ، دار الارشاد ، بيروت ، ط١ ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م ، ص٥

[٢] الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٩م– ١٩٨٩م ، ص٣

[٣] عبدالله محمد الامين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، دراسة تاريخية لاراء (وات – بروكلمان – فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الاسلامية ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ص١٥

(عرباني) لدراسة العربية مقابلة للفظة (**arabist**) ولكن لفظة استشراق ولفظة مستشرق قد شاعتا شيوعا كبيرا[١] .

ولقد تبن ان هذه الكلمة تعرضت الي تغير في معناها الجغرافي بحسب العصور وحوادث التاريخ ، ومهما يكن من امر فان الاسم لا يبين بوضوح مستقيم المقصود منه [٢].

وفي ضوء ما ذكر من التعريفات يمكن القول بأن السين والتاء قصد هما الطلب ، مثل استغفر اي طلب الاستغفار واستنصح اي طلب النصح واستسقي وغيرها ، وعليه فالاستشراق هو طلب علوم الشرق وآدابه ، واستشرق اي طلب وارد تعلم علوم الشرق والمستشرقون قوم تخصصوا في دراسة الشرق وهم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق من جميع جوانبه ، علومه ، آدابه ، تاريخه ، اديانه ، شعوبه ، لغاته لاهداف مختلفة ودوافع شتي .

واذا كانت تلك التعريفات السابقة تتسم بطابع العمومية في بيان مفهوم الاستشراق من حيث هو دراسة علوم الشرق واديانه ولغاته ....الخ) فان هناك تعريفات اخرى تتسم بطابع التخصيص مثل تعريق مالك بن نبي اذ يقول : (اننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي ، وعن الحضارة الاسلامية ، ثم علينا ان نصف اسماؤهم في شبه ما يسمي طبقات علي صنفين :

(أ) من حيث الزمن طبقة القدماء مثل جربر دورბياك ، والقديس توماس الاكويني ، وطبقة المحدثين ، مثل كاره دوقو وجولد تسهير .

[١] احمد اسمايلو ،فلسفة الاستشراق ، دار المعارف ، مصر ، ص٣٠

[٢] اسماعيل علي محمد ، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ، مرجع سابق ،ص١١

(ب) من حيث الاتجاه العام نحو الاسلام والمسلمين في كتاباتهم ، فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها [٣].

وكانت كلمة الاستشراق في الماضي مستخدمة بمعنيين اثنين :

المعني الاول : كان يدل علي مدرسة في الفن ، علي مجموعة من الفنانين ترجع اصولهم الي اوروبا الغربية ، وكانوا عبارة عن رحالة الي الشرق يقيمون لفترة من الزمن في الشرق الاوسط وافريقيا الشمالية ويرسمون ما يرونه أو ما يتخيلونه ، وكانوا يفعلون ذلك احيانا بطريقة رومانطيقية وغرائبية مدهشة [١].

المعني الثاني : فهو الاكثر شيوعا ولا علاقة له بالأول ، انه يعني اختصاصا علميا ، وهذه الكلمة مع العلم الذي تدل عليه تعود الي عصر التوسع الكبير للعلم في اوروبا الغربية منذ عصر النهضة فقد كان هناك مختصون بالحضارة الهيلينستية ممن يدرسون اليونانية وكان هناك يونانيون ممن يدرسون اللاتينية ، وكان هناك مختصون بالتراث العبراني ممن يدرسون العبرية ، وكانوا احيانا ينعتون المختصون بالمجموعتين الاولين بالانسين والمختصين بالمجموعة الثالثة بالمستشرقين ثم راح المستشرقون فيما بعد يركزون اهتمامهم علي علي لغات اخرى غير اللغات الاوروبية[٢] .

ثم يتناول برناد لويس تطور المصطلح ومجالاته التي بدأت بفقه اللغة ، ثم تولد عن هذا المصطلح مصطلح اخر لا يقل غموضا عنه هو (المستغرب) وانتهي الامر

---

[٣] مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين في الفكر الاسلامي الحديث ، دار الارشاد ، بيروت ، ط١ ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م ص٥

[١] محمد جلاء ادريس ، الاستشراق الاسرائيلي في المصادر العبرية ، مرجع سابق ، ص١٠

[٢] نفس المرجع ص١١

الي تلوث مثل هذه المصطلحات ، ولم يعد هناك امل في الخلاص من هذا التلوث .

ول يمكن لنا معالجة اتجاهات الاستشراق المعاصرة ونحلل الكتابات الإستشراقية دون ان نلقي الضوء علي جذور ظاهرة الاستشراق ، فكتابات القرن العشرين لم تأتي من فراغ ولم تخلص من عدم ، وانما استمدت آراؤها وكثيرا من خصائصها من دراسات سابقة واتجاهات تضرب في باطن التاريخ بجذورها لتصل الي فترات لم يكن هناك من دوافع محركة لها سوى ذلك الصراع بين الحق والباطل[٣] .

المبحث الثالث : اهداف الاستشراق :

اهداف الاستشراق متعددة ومتداخلة وبعض الباحثين يجعل الاهداف هي الدوافع ويعتبرها واحدة ، ولأهمية الموضوع بجوانبه المتعدة نبين جزء من هذه الاهداف

اولا :- الاهداف الدينية :

لقد برز الاستشراق منذ البداية بقصد ايقاف التأثير الاسلامي في العالم العربي ، ثم تطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين ، ولقد كان هدف الاستشراق منذ نشأته خدمة الكنيسة والاستعمار ، وتعاونت الكنيسة مع ملوك اوروبا علي شد ازر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم التي كان نصفها الاول سياسيا ونصفها الاخر تبشيريا تعصبيا[١] .

وحسب ما يرى بعض الباحثين فان الاستشراق قد بدأ بنشاط الرهبان في مجال الترجمة حيث توجهت البعثات العلمية المسيحية الي الاندلس (جربر دي ارالياك

---

[٣] المرجع نفسه ص١٢

[١] نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ج٣ ، ص ١١٥٦

gerber depraliac) الذي تولي منصب البابوية في الفترة من ٩٩٩ – ١٠٠٣ م باسم سلفستر الثاني[٢] .

ولقد قام بطرس المحترم ١٠٩٤ – ١١٥٦ م بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول علي معرفة موضوعية عن الاسلام كما انه اوعز ترجمة القرآن الي اللاتينية [٣].

فقد كان لابد من معرفة الاسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربة جيدة علي مستوي العقيدة ، وانكب المفسرون المسيحيون علي ترجمة القرآن ودراسته من اجل نقده ، وهذا النقاش اللاهوتي لم يكن دائما صادرا عن حسن نية ، وهو وان ساهم في التعريف بالإسلام الا انه لم يساهم في ايجاد تفاهم افضل ، ولقد امتد النفوذ الكنسي علي الاستشراق حتي وصل الي المعاهد العلمية ، فمثلا قرار انشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج سنة ١٦٣٦ م نص صراحة علي خدمة هدفين احدهما تجاري والاخر تنصيري [٤].

ولقد كانت الكنيسة ذاتها تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الاسلامي الذي لم يتوقف الا عند (بلاط الشهداء) بين بور وبواتيه سنة ٧٣٢ م وسرعان ما وصل المسلمون الاتراك الي القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية واستولوا عليها سنة ١٤٥٣ م وما افرزه ذلك من ظهور لعصر النهضة الاوروبية [١].

التي كانت هي الاخرى معول هدم في بنية الكنيسة والتفكير اللاهوتي ، لذلك لا يبدو غريبا ان تشن الكنيسة علي الاسلام حربا انتقامية ، فعلي الجانب العسكري

---

[٢] الموسوعة الميسرة ، مرجع سابق ، ص٣٣

[٣] محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، مرجع سابق ص ٢٤

[٤] نفس المرجع ص٣٠

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص٦٦١

كانت الحروب الصليبية وحملات الاسترداد المسيحي في اسبانيا والتي انتهت بطر السلطان ابي عبد الله محمد بن الحسن أخر حكام بني نصر من قشتالة في الثاني من كانون الثاني (يناير) سنة ١٤٩٢[٢] م

اما علي الجانب الفكري فقد اتخذت الكنيسة من الاستشراق اداة للطعن في الاسلام .

لقد ظلت الكنيسة تتحكم في تشكيل العقلية الغربية الي ما بعد عصر التنوير ، ولم يقتصر دورها علي توجيه الرأي العام الغربي من خلال تشكيله وفق رؤية معينة بل امتد نفوذها الي البلاد الاسلامية ذاتها عبر بوابة الاستشراق الموجه سلفا (فأنشأت مؤسسات في البلاد العربية لخدمة الاستشراق ظاهريا ، لكن هدفها في الحقيقة خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي والمثال علي ذلك في مصر المعهد الشرقي بدير الدومينكان والمعهد الفرنسي والجامعة الامريكية ، وفي لبنان جامعة القديس يوسف والجامعة الامريكية [٣].

يضاف الي ذلك اشكاله ابتعاث الطلاب المسلمين الي معاقل المستشرقين في جامعات الغرب ، وما تحدثه من انشطار وازدواجية في بنية العقل المسلم ادت الي انجاح مخططات الاستشراق في خلق النموذج الثقافي في المجتمعات الاسلامية .

ان مراجعة قائمة اسماء اعلام المستشرقين تجعل من السهل ادراك الرؤية الكنسية للاستشراق واهمية الهدف الديني له اذ ان هؤلاء الاعلام هم في الاساس من اباء الكنيسة وتلامذتهم ، فأدي هذا الي أن تظل الرؤية الإستشراقية ثانية من حيث الكيف رغم تطورها من حيث الكم .

---

(٢) نفس المرجع ، ص٥٢٩

(٣) محمود ياسين صديقي ، الهجمات المقرضة علي التاريخ الاسلامي ، ص١٤ ، مصطفي نصر المسلاتي ، الاستشراق السياسي في النصف الاول من القرن العشرين ، ص٥

وعلي الرغم من ان الاستشراق بدأ يتحقق في القرن الثامن عشر الميلادي من ضغط الكنيسة ، الا أن صورة الاسلام المشوهة بفعل الاستشراق اللاهوتي لم تتغير في اذهان الغربيين حتي الان .

واذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهرا الان في الكتابات الاستشراقية قليس معني ذلك انه قد اختفي تماما ، انه لايزال يعمل من وراء ستار بوعي ام من غير وعي ، فمن الصعب علي معظم المستشرقين النصارى المشتغلين بدراسة الاسلام ، واكثرهم متدينون لم ينسوا انهم يدرسون دينا ينكر عقائد اساسية في النصرانية ، ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء ، كما انه من الصعب عليهم ان ينسوا ان الدين الاسلامي قد قضي علي النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها (١).

لذلك فان فهم الاستشراق لا يتم الا من خلال فهم جذوره الكنسية وبيئة المستشرقين التي هي في الاساس مسيحية واسقاطاها علي وعيه .

ثانيا : – الاهداف السياسية والاستعمارية

لقد استفاد الاستعمار كثيرا من التراث الاستشراقي ، كما ان الاستعمار عمل علي تعزيز موقف الاستشراق وتوالت مرحلة التقدم الضخم في المؤسسات الاستشراقية وفي مضمونه مع مرحلة التوسع الاوروبي (٢).

وقد استطاع الاستعمار ان يجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة اغراضه وتحقيق اهدافه وتمكين سلطانه في البلاد المستعمرة ، وهكذا نشأت رابطة وثيقة

(١) ابراهيم اللبان ، المستشرقون والاسلام ، ملحق بمجلة الازهر ، ابريل ١٩٧٠م ص٣٤

(٢) ادوارد سعيد ، مرجع سابق ص٧٢

بين الاستشراق والاستعمار ، ولقد عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصل ويتجسسوا علي المسلمين [٣].

ولقد كانت هناك علاقة وثيقة بين رجال السياسة والمستشرقين اذ كان رجال السياسة يرجعون اليهم قبل اتخاذ قراراهم المهمة في الشئون السياسية الخاصة بالامم العربية والاسلامية وكان بعض المستشرقين يؤسس صداقة بالبارزين من رجال الامة العربية ويتخذ من هذه الصلات ستارا يقوم من ورائه بأعمال التجسس في اثناء الحرب [٤].

ومهما يكن من امر فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة الدليل للاستعمار لفرض سيطرته علي الشرق ، وكانت المعرفة بالأجناس المخلوقة او الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلا ومجديا ، اذ ان المعرفة تمنح القوة ،والمزيد من القوة يتطلب مزيدا من المعرفة ، فهناك استمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية[١].

ويذهب بعض الباحثين الي أن اوروبا تكتشف الفكر الاسلامي في المرحلة العنصرية الاستعمارية مرة اخرى الا من اجل تعديل ثقافي ، بل من اجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الاوضاع في البلاد الاسلامية ، ولتسير هذه الاوضاع وفق ما تقتضيه السياسات في البلاد الاسلامية لتسيطر الشعوب الخاضعة لسلطاها [٢].

---

[٣] ادوارد سعيد ، مرجع سابق ص١٤٦

[٤] ابراهيم اللبان ، المرجع السابق ص٤٧

[١] ادوارد سعيد ، المرجع السابق ص٦٨

[٢] مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين ، مرجع سابق ص١١

ولعل واقع الممارسات الاستشراقية في العالم الاسلامي يوضح الي حد بعيد ضلوع الاستشراق في خدمة المخططات الاستعمارية ، اذ عمل الاستشراق علي اجياء النزعات العصبية ، وعمل علي اثارة الخلافات المذهبية والفقهية وتضخيمها لاجل اثارة الفتن بين المسلمين ، كما ان الاستشراق درس التاريخ العام للامة الاسلامية وركز علي الجوانب القاتمة فيه ، واولي اهتماما خاصا لتاريخ الحركات الباطنية ، وكل ذلك يخدم المخططات الاستعمارية ويؤدي في خاتمة المطاف الي اضعاف العالم الاسلامي وتكبله بقيود التبعية للعالم الغربي .

ذلك لان الخطاب الاستشراقي لم يكن امينا في عرضه للتراث الاسلامي ، مما ادي الي أن يشوه الاستشراق من نفسه ومن تاريخه كما شوه انجازاته وشوه الشخصية المسلمة امام نفسها وامام العالم الغربي ، فما استطاع العالم الغربي أن يفهمها حتي يتعامل معها وما استطاعت أن تعرف نفسها للغرب ، اذ سبقها الاستشراق واعرف بها الاستعمار وقدم الشرق لقمة سائغة لمستعمر قاهر جموح ، فلم يكن ذات يوم سلاح دعم ودفاع للشعوب ضد الاستعمار .

لذلك كانت رسالته وسوف تكون لو عاد التاريخ سيرته الاولى [٣].

فمن الصعب اذا وقد كان الاستشراق مرتبطا بالاستعمار والتبشير أن يضمن الاستشراق علاقات اعتراف متبادل بين العالم الاسلامي والغرب .

٣ – أهداف ثانوية : –

ومنها الهدف العلمي الذي دفع ببعض المستشرقين لدراسة الاسلام وحضارته بروح علمية متجردة محايدة مثل دراسات توماس آرنولد وغوستاف لوبون وجاك بيرك وكارلايل واتيين دينيه ، ولكنها قليلة مقارنة بالدراسات الاستشراقية

---

[٣] محمد ابراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، ص٢٠٧

الاخرى والتي بلغت ستين الف كتاب حتي عام ١٩٥٠ م تعني بالشرق العربي وحده .

كما أن الكنيسة قد منعت تداول الكتب التي اظهرت عطفا علي الاسلام ووضعتها في قائمة المحرمات وبطشت بمؤلفيها .

وتوجد اسباب سياسية تمثلت في ايجاد الاسواق التجارية في الشرق [١].

[١] عبد الكريم الباز ، افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان علي التاريخ الاسلامي ص ١٧

الفصل الثاني : دوافع الاستشراق ووسائله واساليبه

المبحث الاول : دوافع الاستشراق

١ – الدافع الديني : والذي ظهر اول ما ظهر بين الرهبان في العصور الوسطي ، واستمر بعض المبشرين عيونا لبلادهم التي تعمل بشتي الطرق لاثارة الفتن والاضطرابات من اجل تمكن دولهم الاوروبية من السيطرة علي العالم العربي والاسلامي سياسيا واقتصاديا .

والمعروف تاريخيا أن قيام الدولة الاسلامية شكل خطرا علي اوروبا ومثل كذلك مشكلة سياسية وحضارية عنيدة للغرب الاوروبي المسيحي وكان عليه ان يجابهها عسكريا وعقائديا وأن يتعامل معها تجاريا وحضاريا .

التراث العنصري والفكر الاوروبي لم يكن كافيا لمجابهة الاسلام كقوة عقدية وفكرية وسياسية ، لقد كانت الدولة الاسلامية دولة قوية منتصرة لم تقاوم الهجمات البيزنطية فحسب ، بل ردت عليها بهجمات موفقة وصلت الي ضواحي القسطنطينية ، كما اندفعت القوة الاسلامية لتجعل من البحر الابيض المتوسط بحيرة اسلامية تتوغل في اوروبا عبر الاندلس وجزر المتوسط حتي تصل الي جنوب فرنسا وايطاليا ، ثم واصل العثمانيون عملية الاندفاع الاسلامي في اوروبا ففتحوا القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وهددوا فينا بعد أن اشرفوا علي سواحل الادرياتيك[١] .

لم تستطع اوروبا الوقوف امام هذا المد العسكري والسياسي وقد فشلت الحملات الصليبية المتتالية والتي دامت قرنين من الزمان في تحقيق الاهداف

---

[١] فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الاسلامي (القرون الاسلامية الاولي) المملكة الاردنية الهاشمية ، منشورات الاهلية ، ١٩٩٨م ط١ ، ص٣١

الرئيسية للكنيسة والافراد والملوك في اوروبا واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين .

وليس هذا فحسب فقد كان الفكر والفلسفة والثقافة الاسلامية ارفع درجات من مثيلاتها في اوروبا ولهذا شكلت تهديدا علي اراء الكنيسة وتعاليمها خاصة وان العلماء والفقهاء المسلمون ردوا علي اراء الكنيسة حول طبيعة المسيح عليه السلام وعبادة الصور المقدسة (الايقونة) كما وان اراء الفلاسفة المسلمين وعلي رأسهم ابن رشد تسربت الي اوروبا عبر الاندلس وجامعاتها غذت الحركات المنشقة والاصلاحية في المجتمع الاوروبي ، التي بدأت تقارن بين المجتمع الاوروبي الاقطاعي الزراعي الكنسي والمجتمع الاسلامي التجاري الذي يمتاز بمدنه الكبيرة المتحرر من اي شكل من اشكال السيادة الكنسية برجاله الذين يحتلون مكانا بارزا في البنية الاجتماعية الاوروبية [١].

وبكلمة واحدة كان الفارق كبيرا لانه فارق بين مجتمع متأخر بطئ ومجتمع ناضج متطور ، وهكذا كان الفشل السياسي والعسكري العامل الاكثر فعالية وراء ظهور حركة التبشير باعتبارها الوسيلة البديلة حيث غداء الغزو الديني والثقافي بديلا للحرب التي لم تحقق الهدف المنشود .

وكانت الخطوة الاولي انشاء مراكز علمية لدراسة تاريخ الاسلام والعرب في اوروبا ، وكانت الكنيسة الاوروبية المبادرة الي ذلك حيث انشأت أول مركز لدراسة تاريخ الاسلام وعقيدته في طليطلة بالاندلس ١٢٥٠ –٦٤٨ ه وحينما عقد المجمع الكنسي في فينا سنة ١٣١٢م ٧١٢ ه اقر التقرير الذي اعده ريموند

(١) نفس المرجع ص٥٠

لل الذي دعا الي انشاء عدة مراكز لتعليم العربية والسريانية والعبرية في جامعات اوروبية مشهورة منها اكسفورد وباريس تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية [٢].

بتأسيس هذه المراكز العلمية في اوروبا اصبحت حملة الافتراء والتشويه التي بدأها القديس يوحنا الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٩ م – ١٣٢ ه ، والمؤرخ البيزنطي ثيوفانيس المتوفي سنة ٨١٧ م ٢٠٢ ه ، وبارثلميو الاوديسي ، اصبحت اكثر تنظيما ودقة وبالتالي اكثر تأثيرا علي المجتمع الاوروبي ومثقفيه .

ولعل اهم اثر لهذه الكتابات وغيرها هو استقرار الصورة المشوهة والادعاءات المزيفة عن التاريخ الاسلامي والعقيدة في الذهن الاوروبي ، وتأكيد القناعة بأن مواجهة الخطر الاسلامي يجب أن تكون بتكثيف حملات التحريف والتزييف والتشويه والافتراء علي الاسلام واهله ، مما دعا الي استمرار امثال هذه الكتابات التافهة عبر العصور الحديثة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد ظهرت في اواسط الكنيسة في اوروبا حركة تدعو الي الاستذادة من معرفة تاريخ الاسلام وعقيدته ، وقد حققت هذه الحركة وبتأثير من بطرس الراهب ٥٥١ – ١١٥٦ م اول ترجمة للقرآن الكريم سنة ١١٤٣ – ٥٣٨ ه من قبل روبرت اوف كيتون الانجليزي [٣].

وكان هدف هذه الحركة هو محاولة الرد علي الاعداء المسلمين من خلال نقد عقائدهم وبيان ضعفها وتهافتها ، وبلغت هذه الحركة اوجها علي يد توما الاكزيني ٦٢٩ ---١٢٩٤ م وريموندلل ٧١٦ – ١٣١٦ م الذي اوجب اقامة مؤسسات تعليمية جامعية تأخذ علي عاتقها مسؤلية تدريس اللغات والاديان الشرقية ومنخا الاسلام والعروبة ، كما اقترح شروع رجال الفكر

---

[٢] المرجع نفسه ص٥١

[٣] السامرائ قاسم ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص٩٢

الديني بدراسة الاراء الفلسفية لابن رشد المناهضة لاراء الكنيسة وذلك من اجل الرد عليها ودحضها وبيان زيفها .

إن دعوة (لل)الي احلال التبشير والجوار السلمي محل الجرب بهدف القضاء علي العرب وديانتهم الاسلام جعلته يحتل المقام الاول بين المبشرين المسلمين الذين نقلوا المعركة مع الاسلام من ساحة القتال الي الغزو الثقافي ، هذا هو السبب الذي جعل ارنست رينان الباحث ذو النزعة العنصرية يعتبر (لل) بطل الحرب الصليبية الثقافية ضد الرشدية (فلسفة ابن رشد) التي كانت عنده هي الاسلام [١].

ان هذه الصورة التي رسمتها الاقلام التبشيرية مع بدايات الالف الثانية للميلاد لم تتغير ولم تتبدل عبر القرون ، بل ظلت تعبر عن موقف خاص تجاه الاسلام وتاريخه تهدف من خلاله ترويج تصورات معينة بعضها مشوشة او مشوهة او مبالغ فيها او مستندة علي افتراءات ليس لها دليل يسندها .

٢ – الدافع الاستعماري :

يميل هذا الدافع الي الاطماع السياسية والإقتصادية والعسكرية للدول الاوروبية في الشرق ، وقد حدث مثل هذا الترابط في فئة من المستشرقين وبين حكوماتهم الاوروبية التي استعانت بخبراتهم وثقافاتهم عن البلدان التي يدرسونها من اجل توطيد سيطرتها علي المنطقة ، وهذا ما جعل بعض الباحثين الي اعتبار حركة الاستشراق في جانب منها علي الاقل تمثل أهدافا سياسية تتعلق بالمصالح الاستعمارية لاوروبا وتهدف الي تعريف الدوائر الاستعمارية بتاريخ وحضارة عارضة الامور التي بالامكان استغلالها لتثبيت النفوذ وتطبيق مبدأ فرق تسد [٢].

---

[١] محمد البهي ، الفكر الاسلامي الحديث ، ص٥٣٣

[٢] عرفان عبد الحميد ، محاضرات في مناهج المستشرقين ، بغداد ، كلية الشريعة ، ١٩٨٨م ، ص٣

ان فئة من المستشرقين القائمة علي خدمة الاستعمار كان لابد لها أن تقوم بدورها المرسوم فتصور الشرق في صورة الشعوب المتخلفة فطريا ، وأن تولد لدي الشرقين القناعة اللازمة بتقدم الغرب الاوروبي وتفوقه الحضاري الفطري عبر العصور ، وأن المسؤلية الملقاة علي الشعوب الاوروبية من خلال فكرة (عبء الرجل الابيض) مسؤلية انسانية حضارية تجاه العقلية الشرقية العاجزة بالفطرة والتي لا تتمتع بالقدرة علي التحليل والنقد والتركيب ، بل انها عقلية بسيطة ساذجة تؤثر عليها الخرافات وتفر من التطور .

ثم بعد ذلك تحاول امثال هذه الدراسات الاستشراقية تأصيل (نزعة محاكاة الغرب) [(١)]في العقل الشرقي وذلك من خلال تشجيع المثقفين في الارتباط باوروبا ثقافة ولغة وتقاليدا ، والابتعاد عن الهوية الثقافية والحضارية الشرقية ، وانسجاما مع هذا المنطلق ظهرت العديد من الدراسات الاستشراقية التي بالغت في مظاهر سياسية او دينية او حضارية معينة ونشرها بين الناس بهدف تمزيق الوحدة الوطنية أو بث الفتن الطائفية والنزعات العنصرية .، كما انكرت بحوث اخرى اصالة الحضارات الشرقية ومنها العربية الاسلامية ، وحاولت بشتي الطرق الملتوية اعادة النظم الاسلامية الي اصول يونانية أو بيزنطية ، ولهذا نجد المستشرق بيكر يسمي حضارة العرب باسطورة حضارة العرب [(٢)].

ويؤكد المستشرق دي جور عدم وجود ما يسمي بالفلسفة الاسلامية قائلا : (ظلت الفلسفة العربية علي الدوام انتخابية قوامها الاقتباس الصرف من ترجمات الاغريق ، ويعترف المستشرق برنارد لويس بالنيابة عن مثقفي عصره وبكل

[(١)] نفس المرجع ص٦

[(٢)] ابو القاسم سعد الله ، التحولات الثقافية في الشرق الاوسط ، مجلة البيان ، العدد الاول ، جامعة ال البيت ، المفرق ، ص٢٥٢

صراحة ووضوح تستحق التقدير حين يقول : (إن ما تعودنا عليه في الغرب هو ان يزداد تمسكنا بمثلنا الغربية كلما ازداد اتجاه الشرقين الينا ، وذلك يجعل انفسنا مثالا للفضيلة والتقدم الحضاري ، فاذا تشبه الشرقيون بنا فذلك جيد والعكس يعد عندنا شرا ، فالتقدم هو في محاكاتنا والتقهقر والسقوط في عدم التشبه بنا [٣].

ودعا المستشرق الهولندي ستوك هور خرونيه الي سياسة الترابط الثقافي بين هولند ومستعمراتها في الشرق لان هذه الساسة عنده اقوي من روابط الهيمنة والقوة والسلاح واقوي علي ربط المستعمرات بالوطن الام ، وهذه الدعوة ليست جديدة اذا تذكرنا مقترحات ريموند لل وروجر بيكون بعد فشل الحروب الصليبية ، ولابد لنا أن نتذكر الان أن سلوك هور خروتيه كانت له كلمة مسموعة عبر اصحاب القرار السياسي في هولندا بسبب ارتباطه بالدوائر الاستعمارية هناك مثلما كان لل مرتبطا بالكنيسة .

ثم ان سياسة الترابط الثقافي أو ما يسمي بسياسة الاستبداد الثقافي قد ارتبطت في العصر الحديث بعقيدة محاكاة الغرب والتشبه به بتقليد اعمي ، ذلك لان الظروف التاريخية التي اتسمت بها بلدان المشرق عموما كانت تتصف بالتدهور والضعف ، بينما كانت اوروبا تتكون من كيانات قوية فاعلة هيمنت علي الكثير من مناطق المشرق واقتسمتها فيما بينها [١].

فكانت الدوائر الاوروبية الاستعمارية ومن التحق بركبها من المستشرقين يهدفون الي جعل المشارقة تبعا للغرب الاوروبي في الفكر والثقافة ، اذا فليس هناك تبادل بين الثقافات المشرقية والغربية ، وليس هناك حوار فكري بل وصاية فكرية وغزو

---

[٣] نفس المرجع ص٢٥٤

[١] عبد المالك التميمي ، الاستعمار الثقافي الغربي ، الندوة العالمية الثالثة ، جامعة البصرة ، ص٦١

فكري ثقافي ، وفي ذلك يقول الدكتور عصام جعيط [٢]: (ان الاستشراق وافكاره مستمدة من ضعفنا ، ووجود الاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية ، فالفكر الاوروبي الذي كان وراء الفضيلة الاستشراقية فكر لا يؤمن الا بالقهر والسيادة والتمحور حول الذات عرقيا وثقافيا فهو لا يفهم التناقض علي اساس من الحرية في الاخذ والعطاء والاعتراف المتبادل بالمنجزات بين دوائر الفكر والحضارة ، وبالحرية ايضا في الانتفاء ، بل فهم الغرب عملية التثاقف في صورة الاستلاب الحضاري والتنكر التام لمنجزات الطرف المقابل الحضارية والفكرية [٣].

٣ – الدافع العلمي :

مما لاشك فيه أن هناك فئه من المستشرقين اندفعت برغبة علمية صادقة وبدافع ذاتي وهواية شخصية تطورت الي احتراف لدراسة التاريخ الاسلامي ومحاولة التعرف علي الحقيقة قدر المستطاع وحسب جهدها واجتهادها في فهم وقائع التاريخ وقد ظهرت من خلال هذا الجهد العديد من الدراسات القيمة والتي تقدم فائدة علمية في تفسير التاريخ الاسلامي ، ولكنها وبنفس الوقت لا تخلو من شطحات او تحريفات او تشويهات لها ما يبررها بسبب من جهل او تقصير في فهم النصوص العربية او بسبب بيئة المستشرق او ثقافته او الافكار التي اثرت او تؤثر فيه عبر مسيرته العلمية ، ولهذا نلاحظ أن المستشرق الواحد يختلف في موقفه من بحث الي بحث اخر او مقالة الي اخرى ، وقد يغير في تفسيراته ويبدل في ارائه من كتاب الي اخر تبعا لاستذادة معلوماته او نضجه او اطلاعه علي ابحاث اخرى في مجال التاريخ الاسلامي اضافت الي معلوماته معلومات جديدة .

---

[٢] نفس المرجع ص٦٢

[٣] رودسون ، في تراث الاسلام ، سلسلة عالم الفكر ، الكويت ص٦٦

ولا تنسي نشر النصوص التاريخية العربية وتحقيقها من قبل المستشرقين الذين بلغوا ذروة التفاني وانكار الذات والانزواء في صوامع العلم من اجل المعرفة ومن امثال هولاء دي خويه (ت ١٩٠٩ م) الهولندي ، وابريري الانجليزي المتوفي في سبعينيات القرن الماضي وغيرهم كثر .

ولعل شريحة لا بأس بها من الجيل الجديد من الباحثين الاوروبين المختصين بتاريخ الشرق عموما والاسلام خصوصا والذين يرفضون أن يطلقوا علي انفسهم تعبير المستشرقين يسيرون علي نهج هذه الفئة من المستشرقين في دراساتهم التي بدأت بلظهور واتسمت بقربها من الحقيقة والتزامها المنهج العلمي المتجرد قدر الامكان اذا ما قرنت بالفءة ذات النهج المتزمت ، والواقع أن الحقب المتتابعة التي مر بها الاستشراق عبر مسيرته الطويلة لم تكن عالبيتها تخلو من باحثين اوروبيين اتسموا بالحيدة الموضوعية .

ولعل ظاهرة ثقافية اوروبية اخرى ساعدت علي نمؤ الدراسات الاستشراقية وتطورها في اوروبا وهي توجه العديد من الباحثين الغربين لدراسة تراث الشرق وخاصة التراث العربي الاسلامي بدافع ذاتي وشخصي لا شائبة فيه كرد فعل لانغماس الثقافة الغربية والحياة الاوروبية في النزعة المادية ، وقد تأملت هذه الفئة من المستشرقين أن تجد في الحية الروحية والايمانية الشرقية الطمانينة النفسية والاستقرار الروحي الذي يفقده الفرد الاوروبي .

ولعل هذا احد الدوافع من دوافع اخرى دفعت المستشرق لويس ماسنيوس لدراسة التصوف الاسلامي وفكر الحلاج لفترة قاربت الاربعة عقود ، كما ركز هنري كوريان علي الشيخ السهروردي الحلبي لاكثر من ثلاثة عقود ، وكان هذا

الدافع هو الدافع الاول وراء دراسات اجيال من المستشرقين الانجليز في جامعة كيمبيرج امثال براون ونيكلسون وايربري للتصوف الاسلامي [١].

المبحث الثاني : محاور الاستشراق

للاستشراق سبعة محاور رئيسية تدور حولها ابحاث المستشرقين الغربين

١ – الدراسات الاسلامية :

هذا الجانب يوضح اهتمام المستشرقين في القيام لهذه الدراسات ، والتي تنشر في مؤتمراتهم ومنشوراتهم ودورياتهم الكبرى وما اعدوه من فهارس للمخطوطات والمطبوعات والمكتبات العربية وغيرها وهنا لابد أن نشير الي مجموعة من المستشرقين المتمرسين امثال بروكلمان وجب وبرنارد لويس وكلود كاهين وجبرايللي وغيرهم من الذين استوعبوا في دراساتهم الكليات في مجري التاريخ الاسلامي ورسموا الخطوط العامة التي تضم الجزئيات وتحويها

٢ – الدين الاسلامي كعقيدة :

قدم المستشرقون صمن هذا المحور تصوراتهم ثم درسوا سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم وفق ما جاء بكتب السيرة والتاريخ ومن تراثنا العربي ثم بدأوا بالمزاوجة بين ما يكتبون وبين ما ورثوه من عهد اللاهوت المضاد للاسلام ، كما تناولوا القران الكريم بالدرس علي شكل قراءات او تفاسير او ترجمات الي لغاتهم ، وفي هذا كله لا ينسون التجريح بنقدهم وهذا ما قادهم الي دراسات لا نقد حول الجدل الديني والعقيدة والاتجاهات المختلفة لعلم الكلام والتصوف والغلو الديني [١].

---

[١] انور عبد الملك ، الاستشراق في ازمة ، مترجم ، ص٧٠ ، عرفان عبد الحميد ، مرجع سابق ص٦٠

[١] عبد الامير الاعسم ، الاستشراق ، ص١٦

٣ – الاسلام كشريعة :

في هذا المجال نجد أن هناك اتجاهين ، اتجاه يساير الحاجة الماسة للاستشراق في عصر اللاهوت المضاد للاسلام ، واخر يتفق وعصر الاستعمار المضاد للعروبة وحركات النهضة الاسلامية ودراساهم للشريعة تنحصر في بيان مصادرها ، ودراسة الفقهاء واتجاهاهم والعمل علي تعميق الخلافات في اتجاهاهم سواء كانت في الفتاوي والمواقف من اهل الذمة او الموقف الشرعي من الذنوب والحدود وتفاصيل ذلك ، كماعملوا علي تعميق الخلافات في الافاق المذهبية الخاصة فتناولوا موضوعات العبودية والشهادة والملكية والارقاق وهدفهم من ذلك الوصول الي جزئيات تتصل بصلب الحياة الشرعية للمسلم واشتقاهم بها وابعادهم عن الاصول).

٤ – التاريخ العربي الاسلامي : –

ركز المستشرقون همهم ووجهوا دراساهم الي كتب التاريخ ونشرها وبيان اصولها ومصادرها واحداثها ، والذي يرمي اليه بعضهم تقديم صور مشوهة عن المجتمع الاسلامي اجتماعية وسياسية واقتصادية ، يكمن في بعضها تزوير الحقائق واضحة ، او تحريف الظواهر بارزة او تشكل بالغرب ، ولذلك جاءت دراساهم في هذا المحور قائمة علي تقسيمات اقليمية ومذهبية وطائفية وعنصرية ، كما تشاهد من ابرز دور القومية البربرية او الفارسية او التركية واعطائها امتيازا خاصا ، وهذا كله يؤدي الي تفكيك وتمزيق الامة تاريخيا [١]، وهذا لا يعني وجود فئة من المستشرقين الذين درسوا التاريخ الاسلامي دراسة جادة بعيد عن القرض سوء العلم والوصول للحقيقة .

---

[١] عبد الامير الاعسم ، الاستشراق ، مرجع سابق ص١٦

٥ – اللغة وآدابها : –

درس المستشرقون في هذا الاتجاه اصول اللغة العربية وعلاقتها باللغات السامية المتداخلة في اصول اللغة العربية ، وكذلك اتجه بعضهم لدراسة فقه اللغة وقواعدها وعلم العرضون والمعجمية العربية واقتباس اللغة من اللغات الاخرى في الالفاظ واسماء الاشخاص وهذا ما يدعو الاستشراق لكي يوضح اللغة الحديثة فيدرس اللهجات المحلية والاقليمية وبيان الفولكلور علي انه ارث قابل للنمؤ ليحل محل الخصائص العامة المشتركة في مقومات العروبة والاسلام ووفق هذا الطريق جاءت بعض دراسات المستشرقين في الادب العربي ، فتناولوا ادب وسير الادباء والشعراء ونوازعهم واصولهم ومؤتمراهم وعقائدهم ،وكان هدف بعضهم الوصول الي فرضيات في علم الاعراق والانثروبولوجيا(٢) .

٦ – علوم الحضارة والنظم العربية والاسلامية : –

لقد تناول المستشرقون في دراساهم مختلف العلوم كالفلسفة والحساب والفلك والنجم والانواء والكيمياء وعلم الاحياء والطبيعة والري وعلم المعادن والطب والفنون وغيرها من صنوف المعرفة التي شاعت في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية ، وبفضل ما يمتلك المستشرقون من قدرة علي البحث في هذه المحاولات ومنهجية علمية استطاعوا ربط هذه العلوم بالاصول اليونانية ، واحيانا بأصول غير عربية ساسانية وبيزنطية ، معبرين عن اتجاههم العام الذي يجانب الحقيقة ، فدرست جماعة منهم انتقال العلوم العربية الي الغرب بطريقة توحي بلا شك عن رغبتهم لاحياء التراث اليوناني عن طريق العربية ، أو لاحياء العبري عن طريق العربية وهذا ما يوضح بجلاء قصدهم وبين مدى تعامل المستشرق مع

(٢) نفس المرجع ص١٨

العلوم العربية والاسلامية التي حاولوا أن يثبتوا باهًا لا تمت الي العصر الحديث عصر الحضارة الاوروبية بصلة [١].

بينما ابانت جهود الاستاذ فؤاد سيركن وغيره من العلماء المسلمين والمستشرقين مدى اهمية التراث الحضاري العربي ودوره في النهضة الاوروبية .

٧ – تحقيق التراث العربي الاسلامي : –

لقد قام العديد من المستشرقين ومنذ عهد مبكر بتحقيق ونشر المصادر العربية الاسلامية الاصلية مدفوعين بدوافع عديدة بعضها علمية موضوعية وبعضها دينية وتبشيرية او سياسية ومن اجل تحقيق الاهداف المرسومة من قبل اصحاب القرار السياسي او الديني او الاقتصادي كل حسب ارتباطه ، ولا ينكر أن الباحثين المسلمين استفادوا من هذه المخطوطات المحققة والمنشورة وخاصة تلك المخطوطات المحققة تحقيقا علميا دقيقا والتي تشمل عددا من كبيرا ومهما من المصادر التاريخية العربية الاصلية ، علي أن بعضها اعيد تحقيقه من قبل المحققين العرب والمسلمين بصورة اكثر دقة وحرص خاصة وأن المحققين العرب أكثر تفهما للنصوص العربية .

المبحث الثالث : وسائل الاستشراق

للاستشراق عدة وسائل انتهجها المستشرقون لنشر وبث ارائهم ومعتقداهم وافكارهم منها :

١ – تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه ، وفي اكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص او ايثارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها .

٢ – اصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام وبلاده وشعوبه .

---

[١] حسن ضياء ، الاستشراق مرجع سابق ص٣٧

٣ – ارساليات التبشير الي العالم الاسلامي لتزاول اعمالا انسانية في الظاهر كبناء المستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم ، ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية واشباهها .

٤ – القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، ومن المؤسف أن اشدهم خطرا وعداء للاسلام كانوا يستدعون الي الجامعات العربية والاسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وعليكرة وغيرها ليتحدثوا عن الاسلام .

٥ –عقد المؤتمرات لاحكام خططهم في الحقيقة ، ولبحوث عامة في الظاهر ومازالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣ م وحتي الآن .

٦ –انشاء الموسوعة ((دائرة المعارف الاسلامية)) وقد اصدروها بعدة لغات ، وحشد لها كبار المستشرقين واشدهم عداء للاسلام وقد دس فيها السم في الدسم ، وملئت بالاباطيل عن الاسلام وما يتعلق به ، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به ، وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الاسلامية وعقدة النقص عند هولاء المثقفين [٢] .

اهم المجلات التي يصدرونها :

ا – في عام ١٧٨٧ م انشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين الحقوها باخرى عام ١٨٢٠ م ثم اصدروا المجلة الاسيوية .

ب – وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣ م وقبل الملك أن يكون ولي امرها واصدرت مجلة الجمعية الاسيوية الملكية .

---

[٢] محمد البهي ، المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الاسلام ، ص١٦

ج – وفي عام ١٨٤٢ م انشأ الامريكيون جمعية ومجلة باسم الجمعية الشرقية الامريكية ، وفي العام نفسه اصدر المستشرقون الالمان مجلة خاصة بهم ، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وايطاليا وروسيا .

د – ومن المجلات التي اصدرها المستشرقون الامريكان ((مجلة جمعية الدراسات الشرقية)) وكانت تصدر في مدينة جامبير **gambier** بولاية **ohio** ولها فروع في لندن وباريس وليبزوج وتورونتو في كندا ، وطابعها العام علي كل حال طابع الاستشراق السياسي وان كانت تعرض من وقت لاخر بعض المشكلات الدينية وخاصة في باب الكتب .

ه – ويصدر المستشرقون الامريكيون في الوقت الحاضر ((مجلة شئون الشرق الاوسط)) .

و – واخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون هي مجلة العالم الاسلامي **the musulim world** انشأها صمويل زويمر سنة ١٩١١ م وتصدر من هارتفورد **Hartford** بامريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج **k.cragg** وطابع هذه المجلة تبشيري سافر ، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الاسلامي في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها ايضا **le monde musulman** [1] وتعد هذه المجلات من اخطر وسائل التبشير .

---

(١) مصطفي السباعي ، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم) دار الوراق للنشر والتوزيع ، المكتب الاسلامي ، ص٣٨

الخاتمة :

الحمد لله بدأ وختما والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة واله وصحبه ومن تبعه باحسان الي يوم الدين .

إن دور الاستشراق رغم صعوبة اكتشافه الا انه ظهر بوضوح في بعض الدول الإسلامية، وذلك بتشكيك المسلمين في دينهم عن طريق بعض الوسائل والتي من بينها وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة التي لها اكبر الاثر في تغير المجتمعات وخصوصا الشبابية منها ، فاستغل المستشرقون هذه الوسائل وبثوا سمومهم فيها فاختلف المسلمون في القطر الواحد فيما بينهم الي جماعات ، ومازال المستشرقون يبثون افكارهم وسمومهم في تلك الدول .

النتائج :

من خلال هذا البحث ، خلص الباحث الي عدد من النتائج يوجزها في خمسة نقاط هي : –

١ – ان الاستشراق لم يكف اذاه يوما عن المسلمين منذ الحروب الصليبية الي يومنا هذا .

٢ – كما ان المستشرقين درسوا بعناية طبيعة الدول الاسلامية قوة وضعفا ، خصوصا النسيج الاجتماعي القائم علي القبلية والتعصب .

٣ – وجد الاستشراق ارض خصبة في بعض الدول الإسلامية فأنزل معاول الهدم فيها وانجز مهامه بامتياز .

التوصيات :

يوصي الباحث مثقفي الامة الاسلامية ودعاقما للتكاتف والتوحد باسم الاسلام مقابل توحد اهل الكفر والضلال في عدائهم للاسلام والمسلمين كما يوصي بالاتي :

١- ادخال بعض المواد في مناهج التعليم تبين خطر الاستشراق والمستشرقين وكيدهم وتأمرهم المبني علي الحقد والحسد من الدول الاسلامية .

٢ – احاطة صناع القرار في الدول الاسلامية بدوائر فكرية ملمة ومختصة بخفايا الاستشراق والمستشرقين وقاية منهم وتجنبا لكيدهم .

٣ – التغلغل في وسائل التواصل الاجتماعي وتنقية الرسائل ذات التشكيك في مصادر الاسلام كتابا وسنة واجماعا وقياسا وهي الميادين التي يحوم حولها المستشرقون لنيل مرادهم .

٤ – انشاء وحدة مشتركة من مختصي الاديان لكل الدول العربية والاسلامية لوضع خطط وبرامج لمجابهة الاستشراق وصد خطره علي الامة الاسلامية .